

مقاصد الزلازل والهزات الأرضية من خلال النصوص الشرعية -تقصيد وترشيد-

Purposes of earthquakes according to religious texts -Rationalization-

د. ياسين بولحمار

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

yassinboulahmar@gmail.com

تاريخ الوصول: 2019/30/31 القبول: 2020/05/19 /النشر على الخط: 2020/06/15

Received: 13/03/2019 / Accepted: 19/05/2020 / Published online : 15/06/2020

الملخص:

إنَّ ما يحدث في هذا الكون من تغيُّرات، كوقوع الزلازل والفيضانات، وتتابع الهزَّات الأرضية والنَّكبات؛ لهُو من أعظم الآيات، الدَّالة على عظمة الله سبحانه وقدرته، والمرشدة إلى جبروته وقوَّته، وقد جاء هذا البحث ليكشف عن بعض المقاصد الشرعية والفوائد المرعية من هذه الظواهر الطَّبيعية، حتَّى يقف العاقل على حقيقتها وأبعادها، ويستفيد من مراميها ومقاصدها، لينتهي به المطاف إلى أنَّ تدبير الله في هذا الكون لا يكون إلَّا لحكمة تعود على العباد في المعاش والمعاد.

الكلمات المفتاحية: المقاصد، النصوص الشرعية، الزلازل، الهزَّات الأرضية، الترشيد.

Abstract

The events that are occurring in this world, such as earthquakes, floods, aftershocks and disasters are one of the greatest signs that indicate the greatness of God Almighty and his ability and are guidance to his power and strength. This research has revealed some of the sharia purposes and benefits of these natural phenomena, so that people see its truth and its dimensions and also benefit from its aims and purposes. To end up that God's management of this universe is merely wisdom for people in their lives and reincarnation.

Keywords: purposes, religious texts, earthquakes, rationalization.

مقدمة:

إنَّ الزلازل والهزَّات الأرضية وغيرها من الكوارث الطَّبيعية، من آيات الله الكونية، التي يعيشها النَّاس من حين لآخر، في مناطق مختلفة، وبلدان متفرقة، فتجدهم يشكون من ضررها، ويتخبَّطون من آثارها، وذلك بما تخلَّفه وراءها من خسائر مادِّية، كهدم الدُّور وتخريب الممتلكات، وذهاب الأرزاق إثر السُّيول الجارفة والفيضانات، وربَّما خلَّفت بعض الخسائر البشريَّة، كالقتلى والجرحى، بالإضافة إلى حالات الخوف والفرع التي تتركها في نفوسهم، فتؤثِّر في مجرى حياتهم.

إلا أنه ينبغي على المؤمن أن يعرف أن هذه الكوارث لا تنزل عبثاً؛ ولا تقع جزافاً؛ بل هي بتقدير الله سبحانه وتديره، وهو الذي يقدر ما يكون فيه، قال جلّ وعلا: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾⁽¹⁾، وقال أيضاً: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾⁽²⁾، فهذا الكون: «من الدّرة إلى المحرّة في يد الله تبارك وتعالى، فإذا أخرج بعض الأحداث من حيّز العدم إلى حيّز الوجود، فلا بدّ من أن وراء ذلك حكمة»⁽³⁾، علّمها من علّمها، وجهلها من جهلها.

والكثير من الناس يخوض في مسألة الزلازل والهزّات الأرضيّة ومصائبها، ويتساءل حول الثمرات المرجوة منها، فلا ينظر إليها إلا بعين زائغة، ونظرات قاصرة، وفي بعض الأحيان قد تكون مُضِرَّةً، فلا يرى فيها سوى الدمار والخراب للبلاد، والهلاك والعذاب للعباد، فهي وإن كانت كذلك؛ إلا أنه لا يُستحسنُ به الوقوف عند السّطحيات والظواهر، والبكاء على الأطلال وتعداد الخسائر؛ بل يجب عليه إنعام النّظر في معرفة المقاصد الشرعيّة والجواهر، وإعمال الفكر في محاولة الوصول إلى حكمة الأفعال بواسطة العلل وإلحاق الأشباه بالنّظائر، التي جعلها الله - جلّ وعلا - خاصّة بأهل الفقه في الدين وذوي البصائر.

فلقد «شاءت قدرة الحكيم العليم أن لا يجعل أحكام شرّعه بعيدةً عمّا فطره في عقول البشر من اكتشاف العلاقات بين الأشياء وأسبابها، أو التشابه بين الأمور ونظائرها، لتقوم الحجّة على العقل بالنّص، وليتمكّن العقل من إدراك حكمة النّص، والمقايضة عليه بعد بذل الجهد ضمن ما شرّعه الله بوسائل الاستنباط»⁽⁴⁾. وهذا ما أدّى إلى طرح بعض التّساؤلات المهمّة:

ما هي المقاصد الشرعيّة من الزلازل والهزّات الأرضيّة؟

وهل هناك فائدة منها تعود على العبد؟

وهل تكون هذه الظواهر الطبيعيّة عقاباً من الله لعباده أم رحمة منه بهم؟

لعلّ الجواب على تلك التّساؤلات، يكون في هذه الفقرات التي جعلناها على شكل جملة من المقاصد، وعدد من الفوائد، التي استنبطناها من خلال نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية - على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحية -.

المقصد الأوّل: تحذير الله لعباده من مخالفة أمره.

إنّ ما يرسله الله سبحانه وتعالى على العباد من زلازل، وحسّف وبركان، وغيرها من ألوان الكوارث؛ إنّما هو عبارة عن تخويف لعباده من مخالفة ما جاء في كتابه، وتحذير لهم من أليم عقابه، وشدّة حسابه، متى انحرفوا عن الصّراط المستقيم، وتجاوزوا تعاليم الوحيين. وأصل هذا المقصد قوله تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾⁽⁵⁾.

(1) - سورة القمر، الآية/49.

(2) - سورة الفرقان، الآية/02.

(3) - يوسف القرضاوي، خطب الشّيخ القرضاوي، (إعداد: خالد السّعد، مكتبة وهبة، مصر، ط2، 1417هـ، 1997م)، عنوان الخطبة: "زلازل مصر"، (90/1).

(4) - بوبكر بعداش، أثر الاختلاف في التعليل في الفقه الإسلامي، (دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط1، 1437هـ، 2017م)، (ص/05).

(5) - سورة الإسراء، الآية/59.

وقد فسّر قتادة بن دعامة هذه الآية فقال: «وإن الله يخوف الناس بما شاء من آية؛ لعلهم يعتبرون، أو يذكرون، أو يرجعون، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود، فقال: يا أيها الناس إن ربكم يستعذبكم فأعتبوه»⁽¹⁾. ومعنى يستعذبكم أراد أن تُعتبوه، أي: تُرضوه، ولا يكون ذلك إلا بإزالة العتب عليكم، وإذهاب الغضب عنكم، بالتوبة النصوح والاستغفار الدائم. فتخويف الله لعباده يكون بالآيات، من رجف وزلازل ونكبات، وحسف وهزات أرضية وفيضانات، وهذا ما أشار إليه مجاهد بن جبر عند تفسيره لقوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾⁽²⁾. قال: «من فوقكم»: الصيحة، والحجارة، والريح، "أو من تحت أرجلكم" قال: الرجفة، والحسف، وهما عذاب أهل التكذيب ...»⁽³⁾.

وقد أُرشد النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه عند وقوع مثل هذه الآيات؛ بالمبادرة إلى الطاعات، والفزع إلى العبادات، والإكثار من الاستغفار والدعوات؛ خشية عذاب يحل بهم، أو واقعة تنزل بديارهم، فعن أبي موسى، قال: «حسفت الشمس في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقام فزعاً يخشى أن تكون الساعة حتى أتى المسجد، فقام يصلي بأطول قيام وركوع وسجود، ما رأيته يفعل في صلاة قط، ثم قال: إن هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد، ولا لحياته، ولكن الله يرسلها، يخوف بها عباده، فإذا رأيتم منها شيئاً، فافزعوا إلى ذكره، ودعائه، واستغفاره»⁽⁴⁾.

فجاء في الحديث: «أن من حكمة ذلك تخويف العباد؛ كما يكون تخويفهم في سائر الآيات: كالرياح الشديدة، والزلازل، والجذب، والأمطار المتواترة، ونحو ذلك من الأسباب التي قد تكون عذاباً، كما عذب الله أمماً بالريح، والصيحة، والطوفان، قال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾»⁽⁵⁾. وقد قال: ﴿وَأَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصَرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ إِلَّا آيَاتٍ إِلَّا تَخَوِّفًا﴾⁽⁶⁾. وإخباره بأنه يخوف عباده بذلك يبين أنه قد يكون سبباً لعذاب ينزل كالرياح العاصفة الشديدة»⁽⁷⁾.

(2) - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م)، (478/17).

(2) - سورة الأنعام، الآية/65.

(3) - السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت)، (283/3).

(5) - البخاري، صحيح البخاري، (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، كتاب الكسوف، باب الذكر في الكسوف، رقم (1059)، (39/2)، ومسلم، صحيح مسلم، تحقيق: (محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت)، كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة جامعة، رقم (912)، (628/2).

(5) - سورة العنكبوت، الآية/40.

(6) - سورة الإسراء، الآية/59.

(2) - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1416هـ، 1995م)، (169/35).

والقرآن الكريم أخبرنا بقصص أقوام، وما لحقهم من عذاب وآلام؛ لَمَّا عَصُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَتَمَرَّدُوا عَلَى مَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، استخفافاً منهم بالبينات، واستصغاراً لما يُقَدِّمون عليه من عَظَائِمِ السَّيِّئَاتِ، قال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحْ أَعْتِنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾^(١). فهذه خلاصة قصّة سيّدنا صالح - عليه السّلام - مع قومه، لَمَّا نَهَاَهُمُ اللهُ سبحانه عن التّعريض للنّاقة وسقيهاها، فتجاوزوا الأوامر وعَقَرُوهَا، ولم يقفوا عند هذا الصّنيع، والفعل الشّنيع؛ بل هَمُّوا بِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ، فحَلَّتْ عليهم أصناف من العذاب بَعِيْهِمْ، وأنزل الله عليهم العقاب الذي لم يخطر عليهم، ففي اليوم الأوّل اصْفَرَّتْ وجوههم، وفي اليوم الثّاني احْمَرَّتْ، وفي اليوم الثّالث اسْوَدَّتْ، فلمّا كان اليوم الرّابع جاءتهم صيحةٌ من السّماء، ورجفةٌ شديدةٌ من أسفل منهم، ففاضت الأرواح، وزهقت النفوس في ساعة واحدة، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾، أي: صَرَعَى لا أرواح فيهم^(٢).

وهذا ما حَصَلَ مع قوم شعيب - عليه السّلام -، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ الْكَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ آتَيْتُمْ شُعَيْبًا الْإِنِّكُمْ إِذَا لَخِيسِرُونَ ٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩١﴾^(٣). وعليه؛ يُمكن القول بأنّ: «التّخويف والوعيد بهذه الآيات إنّما يكون عند المجاهرة بالمعاصي والإعلان بها»^(٤)، والتّفاخر بارتكابها، على مرأى ومَسْمَعٍ من العالمين. وقد فقه هذا المقصد العظيم، أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - الخليفة الرّاشد المُتمرّس في إعمال المقاصد، فعن صَفِيَّةَ بنت أبي عُبيد زوجة عبد الله بن عمر قالت: «زُلْزِلَتِ الْمَدِينَةُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَا هَذَا؟ مَا أَسْرَعَ مَا أَحْدَثْتُمْ، لَئِنْ عَادَتْ لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا»^(٥). وفي لفظ آخر؛ عَنْ نَافِعٍ عَنْ صَفِيَّةَ ابْنَةِ أَبِي عُبيد، قال: «زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ حَتَّى اضْطَفَقَتِ السَّرُّرُ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَهُوَ يُصَلِّي فَلَمْ يَدْرِ، قَالَ: فَخَطَبَ عُمَرُ لِلنَّاسِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لَقَدْ عَجَلْتُمْ، قَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: لَئِنْ عَادَتْ لَا أُخْرِجَنَّ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيكُمْ»^(٦).

(1) - سورة الأعراف، الآية/77-78.

(4) - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م)، (442/3).

(3) - سورة الأعراف، الآية/90-91.

(6) - ابن بطّال، شرح صحيح البخاري، (تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرّشد، الرّياض، المملكة العربيّة السّعودية، ط2، 1423هـ، 2003م)، (26/3).

(7) - ابن أبي الدنيا، العقوبات، (تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 1996م)، باب أسباب العقوبات وأنواعها، (ص/31)، وابن كثير، مسند الفاروق، (تحقيق: إمام بن علي إمام، دار الفلاح، مصر، ط1، 1430هـ، 2009م)، (322/1)، وقال: "إسناد صحيح".

(1) - ابن أبي شيبة، المصنّف، (تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرّشد، ط1، 1409هـ)، باب في الصلاة في الزلزلة، رقم (8335)، (221/2)، والبيهقي، السّنن الكبرى، (تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ، 2003م)، كتاب صلاة الخسوف، باب لا يُصلّي جماعة عند شيء من الآيات غير الشّمس والقمر، رقم (6377)، (476/3).

المقصد الثاني: تكفير ذنوب المصابين والتجاوز عن سيئاتهم.

إِنَّ مَا تُخْلِفُهُ الزَّلَازِلُ والفيضانات من هلاك في الأموال والممتلكات، وتُلف في الأرزاق والمكتسبات، التي تمسُّ بمعيشة الأفراد والعائلات؛ إنما هي تكفير للأخطاء والسيئات، وتجاوز عن الزلات والهفوات، فهذه الأمة تُبتلى في الدنيا فتُرحم، وتُعرف قَدْرُ الابتلاء بالاحتساب والصبر على المصاب فلا تأثم، ولذلك كانت أمة مرحومة، فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم -: «إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ، إِنَّمَا عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْقَتْلُ، وَالْبَلَاءُ، وَالزَّلَازِلُ»⁽¹⁾.

فالحديث واضح الدلالة على أَنَّ ما يصيب هذه الأمة من حوادث ونكبات، وكوارث طبيعية ومُدْهِمَات؛ يكون كفارة لأصحابها في اليوم الآخر، ومَّا يُؤَيِّد هذا المقصد أيضًا، ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿لَا مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ﴾⁽²⁾، بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «قَارِبُوا، وَاسْدُدُوا، فَبِئْسَ كُلُّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوْ الشُّوْكَةَ يُشَاكِبُهَا»⁽³⁾.

المقصد الثالث: إكرام بعض المؤمنين بجعلهم شهداء.

إِنَّ من أبرز ما تُخْلِفُهُ الزَّلَازِلُ إذا حَلَّتْ بَدْيَارَ مُعَيَّنَةٍ هو هَدْمُ الْبُيُوتِ، وتقويض الدُّور على من فيها من السُّكَّانِ، فمن كان من القَتْلَى في هذه الكوارث الطَّبِيعِيَّة؛ فهو شهيد، ومنزلته محفوظة مع الشُّهداء، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم -: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»⁽⁴⁾.

(2) - أحمد بن حنبل، مسند أحمد، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، 2001م)، مسند أبي موسى الأشعري، رقم (19678)، (453/32)، وأبو داود، سنن أبي داود، (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت)، كتاب الفتن والملاحم، باب ما يُرجى في القتل، رقم (4278)، (105/4)، والحاكم، المستدرک على الصحيحين، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م)، كتاب الفتن والملاحم، رقم (8372)، (491/4)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، والقضاعي، مسند الشُّهاب، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ، 1986م)، باب إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، رقم (968)، (100/2).

والحديث صحَّحه الألباني. ينظر: محمد ناصر الدِّين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1)، رقم (959)، (648/2).

(2) - سورة النَّسَاء، الآية/123.

(4) - مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يُصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يُشاكبها، رقم (2574)، (1993/4).

(1) - البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الشُّهادة سبع سوى القتل، رقم (2829)، (24/4)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشُّهداء، رقم (1914)، (1521/3).

فمن مات تحت هدم ببيان، أو انهارت عليه الجدران؛ بسبب الهزات الأرضية، أو الفيضانات العارمة، فهو بمنزلة الشهيد الذي صال بفرسه، وجال بسيفه، في صدّ الأعداء، إلا أنه يُغسّل ويُكفّن ويُصلّى عليه، قال النووي: «واعلم أنّ الشهيد ثلاثة أقسام أحدها: المقتول في حرب الكفار بسبب من أسباب القتال، فهذا له حكم الشهداء في ثواب الآخرة وفي أحكام الدنيا، وهو أنه لا يُغسّل ولا يُصلّى عليه. والثاني: شهيد في الثواب دون أحكام الدنيا، وهو المبطون، والمطعون، وصاحب الهدم، ومن قُتل دون ماله، وغيرهم ممن جاءت الأحاديث الصحيحة بتسميته شهيداً، فهذا يُغسّل ويُصلّى عليه، وله في الآخرة ثواب الشهداء، ولا يلزم أن يكون مثل ثواب الأول. والثالث: من غلّ في الغنيمة، وشبهه ممن وردت الآثار بنفي تسميته شهيداً إذا قُتل في حرب الكفار، فهذا له حكم الشهداء في الدنيا فلا يُغسّل ولا يُصلّى عليه، وليس له ثوابهم الكامل في الآخرة. والله أعلم»⁽¹⁾.

المقصد الرابع: الدعوة إلى التوبة من الذنوب والأوبة إلى الله سبحانه.

إنّ للمعاصي أثر عجيب في جلب المصائب والأهوال، وحلول النقم وتتابع العقاب والآلام، من تقلبات في الشئ الكونية وقوانينها، وتحولات في نمط الحياة وطبيعتها، خاصة إذا عم الفساد واستشرى، وظهرت الفتن واحدة تلو الأخرى، يقول ابن القيم: «ومن تأثير معاصي الله في الأرض ما يحل بها من الخسف والزلازل، ويمحق بركتها، وقد مرّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ديار تمود، فمنعهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون، ومن شرب مياههم، ومن الاستسقاء من آبارهم، حتى أمر أن لا يُغلف العجين الذي عُجن بمياههم للتواضع، لتأثير شؤم المعصية في الماء، وكذلك شؤم تأثير الذنوب في نقص الثمار، وما ترى به من الآفات»⁽²⁾.

ولذلك نُقل عن كعب الأحرار أنه قال: «إنما زُلزِلَت الأرض إذا عُمِلَ فيها بالمعاصي، فترعدُ فرقاً من الربّ جلّ جلاله أن يطلّع عليها»⁽³⁾.

فمتى تبين ذلك؛ أدرك العباد أنّ الله سبحانه سخط عليهم، غير راضٍ عن أفعالهم، فأنزل عليهم الزلازل والبراكين والإعصار، وابتلاهم بالخسف والفيضانات وما تواتر من أمطار، من أجل الاقلاع عن المعاصي والذنوب، والعودة الجادة إلى رحاب الشريعة الإسلامية، والتمسك بنور الأحكام، وعدم تجاوز الحدود الشرعية، والدليل على هذا المقصد قوله سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁽⁴⁾.

والمراد بالفساد في الآية؛ اختلال مجرى الحياة العادية من: أهوال ومصائب وغلاء، وأمراض وأعراض وبلاء، وتلوث وزلازل وكوارث، وغيرها من الحوادث، إلا أنه جلّ وعلا لا يجازيهم بكلّ أعمالهم، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا

(2) - النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ)، (164/2).

(3) - ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (دار المعرفة، المغرب، ط1، 1418هـ، 1997م)، (ص/65).

(3) - ابن القيم، المصدر نفسه، (ص/47).

(4) - سورة الروم، الآية/41.

تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ⁽¹⁾. وَإِنَّمَا الْمُؤَاخَذَةُ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَى رَبِّهِمْ⁽²⁾، فمن: «فضل الله على الناس أنه حينما ينزل البأساء والضراء بهم؛ لا يريد أن ينتقم منهم، ولكن ليُعَلِّمَهُمْ، وَلِيُنَبِّهَهُمْ، وَلِيَذَكِّرَهُمْ»⁽³⁾، بهذا المقصد الجليل، والدَّرْسُ العظيم، وهو البدار إلى التوبة النصوح وتحقيق الإجابة، ومراجعة ما هم عليه والإنابة، فتصير المحنة منحةً، وتنقلب البلية عطيّةً، لمن فهم عن الشارع الحكيم قصده.

وقد فقه هذا المقصد الخليفة عمر بن عبد العزيز، فكان يكتب إلى عماله في الأمصار، ويضرب لهم موعداً في ذلك، يتواصوا فيه بالذكر والاستغفار، وإظهار الافتقار للواحد الجبار، فعن جعفر بن بُزْقَانَ قال: «كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: إن هذا الرَّحْفَ شيءٌ يُعَاقِبُ الله به العباد، وقد كتب إلى أهل الأمصار أن يخرجوا يوم كذا وكذا، في شهر كذا وكذا، في ساعة كذا وكذا، فاخرجوا، ومن أراد منكم أن يتصدق فليفعَل، فإن الله تعالى قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾⁽¹⁴⁾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى⁽¹⁵⁾»⁽⁴⁾، وقولوا كما قال أبوكم - يعني آدم - عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽⁵⁾، وقولوا كما قال نوح - عليه السلام -: ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽⁶⁾، وقولوا كما قال موسى - عليه السلام -: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁽⁷⁾، وقولوا كما قال ذو النون - عليه السلام -: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁸⁾»⁽⁹⁾. فمِمَّا يؤخذ من فعل هذا الخليفة الراشد أنه: «أمر - رحمه الله - الرعية بالالتجاء إلى الله تعالى، والتصدق، والاستغفار، والخروج إلى المصلى، عندما حصلت الزلزلة بالشَّام»⁽¹⁰⁾.

المقصد الخامس: التذكير بقرب الساعة.

- (1) - سورة النحل، الآية/61.
- (2) - ينظر: يوسف القرضاوي، خطب الشيخ القرضاوي، عنوان الخطبة: "زلزال مصر"، (98/1).
- (3) - يوسف القرضاوي، خطب الشيخ القرضاوي، عنوان الخطبة: "زلزال مصر"، (98/1).
- (4) - سورة الأعلى، الآية/14-15.
- (5) - سورة الأعراف، الآية/23.
- (6) - سورة هود، الآية/47.
- (7) - سورة القصص، الآية/16.
- (8) - سورة الأنبياء، الآية/87.
- (9) - ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، (تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط6، 1404هـ، 1984م)، (ص/64)، وأبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (دار السعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ، 1974م)، (304/5).
- (10) - علي محمد الصلابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتدايعات الانهيار، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ، 2008م)، (170/2).

إِنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى وَضَعَ بين يدي السَّاعَةِ علامات، تدلُّ على اقترابِ أجلها، ودُنُوِّ نهاية الحياة الدُّنيا وملذَّاتها، ومن هذه العلامات التي جاءت النُّصوص النَّبَوِيَّة ببيَّانها، كثرة الزَّلَازِل وتتابعها، وظهور الفتن وتلاحقها، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُغْبِضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ - وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ» (1).

وعن سلمة بن نُفَيْل السَّكُونِي، قَالَ: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مُوْتَانٌ شَدِيدٌ، وَبَعْدَهُ سَنَوَاتُ الزَّلَازِلِ» (2).

وعن عبد الرَّحْمَنِ بن صُحَّارٍ الْعَبْدِيُّ، عن أبيه قال: قال رسول - الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَسَفَ بِقَبَائِلٍ مِنَ الْعَرَبِ، فَيُقَالُ: مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي فُلَانٍ» (3).

فهذه الأحاديث صريحة في كون كثرة الزَّلَازِل وتتابعها، من علامات قُرب السَّاعَةِ ودُنُوِّ أجلها، وفي هذا المقصد تذكير بالمصير المحتوم، الذي يجب أن لا يغفل عنه المؤمنون، وفيه لفت للانتباه عن معرفة الحكمة من هذا الوجود.

المقصد السادس: أخذ الدُّروس والعِبَر ممَّنْ غَبَرَ.

إِنَّ عَلَى الْكَيْسِ الْقَطَنِ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَتَعَطَّ بِمَا أَصَابَهُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَازِلِ وَالْعُقُوبَاتِ، وبما أنزل عليهم من الآيات، وما حلَّ بهم من المثلَّات، ينبغي أن يتَّخذ هذه الأحوال والنَّكبات بعين الاعتبار، فيأخذ ما فيها من الدُّروس والعِبَر، وما تحمُّله في طيَّاتها من قِيَمٍ ودُرر، قال ابن القيم: «وَالْعِظَةُ نَوْعَانِ: عِظَةُ بِالْمُسْمُوعِ، وَعِظَةُ بِالْمَشْهُودِ، فَالْعِظَةُ بِالْمُسْمُوعِ: الْإِنْتِفَاعُ بِمَا يَسْمَعُهُ مِنَ

(1) - البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصَّلَاة، أبواب الاستسقاء، باب ما قيل في الزَّلَازِل والآيات، رقم (1036)، (33/2).

(2) - أحمد، مسند أحمد، مسند سلمة بن نُفَيْل السَّكُونِي، رقم (16964)، (163/28)، والدَّارِمِيُّ، مسند الدَّارِمِيِّ، (تحقيق: حسين سليم أسد الدَّاراني، دار المغني للنشر والتَّوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ، 2000م)، باب ما أكرم النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بنزول الطَّعام من السَّمَاء، رقم (56)، (200/1)، وابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، (تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوايرة، دار الرِّايَّة، الرياض، ط1، 1411هـ، 1991م)، سلمة بن نُفَيْل السَّكُونِي، رقم (2461)، (412/4)، والطَّبْرَانِيُّ، معجم الشَّاميين، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السَّلَفِي، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، ط1، 1405هـ، 1984م)، رقم (687)، (396/1)، والطَّبْرَانِيُّ أَيْضًا، المعجم الكبير، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السَّلَفِي، مكتبة ابن تيمِّيَّة، القاهرة، ط2، د.ت)، سلمة بن نُفَيْل السَّكُونِي ثُمَّ التَّرَاغُمِي، رقم (6356)، (51/7). والحديث صحَّحه الألباني. ينظر: الألباني، التَّعليقات الحسان على صحيح ابن حَبَّان وتَمِييز سقيم من صحيحه وشاذ من محفوظه، (دار با وزير للنَّشر والتَّوزيع، حُدَّة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ، 2003م)، ذكر الأخبار عن وجود كثرة الزَّلَازِل في آخر الزَّمَان، رقم (6739)، (424/9).

(3) - ابن أبي شَيْبَةَ، مُصَنَّف ابن أبي شَيْبَةَ، من كره الخروج في الفتنه وتعوَّذ منها، رقم (37212)، (459/7)، وأحمد، مسند أحمد، حديث صُحَّار الْعَبْدِيِّ، رقم (15956)، (313/25)، ورقم (20340)، (449/33)، وابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، صُحَّار بن عبد القيس - رضي الله عنه -، رقم (1652)، (271/3)، وأبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى الموصلي، (تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404هـ، 1984م)، حديث صُحَّار، رقم (6834)، (219/12)، وقال محمَّدُ: "إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ"، والطَّبْرَانِيُّ، المعجم الكبير، صُحَّار بن عَبَّاس ويقال ابن عَبَّاس الْعَبْدِيُّ، رقم (7404)، (73/8)، والحاكم، المستدرک على الصَّحَّاحين، كتاب الفتن والملاحم، رقم (8375)، (492/4)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجَاهُ". وقال الهيثمي: "رواه أحمد والطَّبْرَانِيُّ وأبو يعلى والبزار، ورجاله ثقات". جمع الزَّوائد ومنبع الفوائد، (تحقيق: حسام الدِّين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، 1994م)، (09/8).

الهدى والرُّشد، والنَّصائح التي جاءت على لسان الرُّسل وما أُوحي إليهم، وكذلك الانتفاع بالعِظة من كلِّ ناصحٍ ومُرشدٍ في مصالح الدِّين والدُّنيا. والعِظة بالمشهود: الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العِبر، وأحكام القَدَر، ومجاريه، وما يشاهده من آيات الله الدَّالة على صِدْق رُسله»⁽¹⁾.

وهذا المقصد تظافت في بيانه الآيات، منها قوله سبحانه: ﴿ أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَّرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٤٥) أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾⁽²⁾.

وقال جلَّ وعلا مُنبِّهاً على مقصد الاعتبار بما يرسله على عباده من عقاب، وما ينزل عليهم من ألوان العذاب، كالزَّلَزل والفيضانات والاعصار، والريِّح والحسْف وما تخلّفه من دمار، ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴾⁽³⁾. ومعنى هذه الآية أنه: «توبيخ لهم على قسوة قلوبهم، وانطماس بصيرتهم، وغفلتهم عمّا يدعو إلى الاعتبار والاتعاظ، أي: أَبْلَغَ الجَهل والسَّفه وعمى البصيرة بهؤلاء، أَنَّهُمْ صاروا لَا يَعْتَبِرُونَ، وَلَا يَتَعَطَّوْنَ، بما حاق من فِتْنٍ، واختبارات، وابتلاءات، تنزل بهم في كلِّ عام مرّة أو مرّتين؟»⁽⁴⁾، والقصد من: «المرّة والمرّتين على ما صرّح به بعضهم مجرد التّكثير، لا بيان الوقوع على حسب العدد المزبور ...»⁽⁵⁾.

وقد أرشد النّبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - إلى وجوب الاعتبار، والحذر من غضب الواحد القهّار، فعن ابن شهاب، وهُوَ يَذْكُرُ الْحِجْرَ، مَسَاكِينَ ثَمُودَ، قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ خَذَرًا، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»⁽⁶⁾.

ففي الحديث دلالة واضحة في التّهي عن دخول البقاع التي دمرها سبحانه وتعالى، وأنزل العذاب بأهلها، وعاقب بالآيات قاطنيها، خشية أن يصيبهم مثل ما أصابهم، أو يلحقهم من العار والشّار والدمار ما لحق بأولئك المنحرفين، إلّا إذا كان

(1) - ابن القيم، مدارج السّالكين بين إِيَّاكَ نَعْبُد وإِيَّاكَ نَسْتَعِين، (تحقيق: محمّد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ، 1996م)، (443/1).

(2) - سورة النحل، الآية/ 45-47.

(3) - سورة التوبة، الآية/ 126.

(4) - محمّد سيّد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط1، د.ت)، (431/6).

(5) - شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1415هـ)، (48/6).

(6) - البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾. سورة الأعراف، الآية/ 73، رقم (3380)، (149/4)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الزُّهد والرّقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلّا أن تكونوا باكين، رقم (2980)، (2286/4)، واللفظ له.

الدُّخُول إليها لِّلانتِعاظ بِحالهم، والخوف من مآلهم، والحذر من إتيان ما يُشبه أفعالهم، فحينئذٍ لا بأس بهذا القصد، فالأمور بمقاصدها، والأعمال بنياتها، والزَّيارات يُنظر فيها إلى أبعادها.

ويُشير ابن رجب الحنبلي إلى هذا المقصد العظيم؛ فيقول: «هذا الحديث: نصٌّ في المنع من الدُّخُول على مواضع العذاب، إلَّا على أكمل حالات الخشوع والاعتبار، وهو البكاء من خشية الله، وخوف عقابه الذي نزل بمن كان في تلك البُقعة، وأنَّ الدُّخُول على غير هذا الوجه يخشى منه إصابة العذاب الذي أصابهم.

وفي هذا تحذير من الغفلة عن تدبُّر الآيات، فمن رأى ما حلَّ بالعصاة ولم يتنبَّه بذلك من غفلته، ولم يتفكَّر في حالهم، ويعتبر بهم؛ فليحذر من حلول العقوبة به، فإنَّها إنَّما حلَّت بالعصاة لغفلتهم عن التدبُّر، وإهمالهم اليقظة والتدبُّر»⁽¹⁾.

وقال ابن حجر العسقلاني مُعلِّقاً على الحديث: «ووجه هذه الخشية أنَّ البكاء يبعثه على التفكُّر والاعتبار، فكأنَّه أمرهم بالتفكُّر في أحوال توجبُّ البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض، وإمهالهم مدَّةً طويلةً ثمَّ إيقاع نِقْمته بهم، وشِدَّة عذابه، وهو سبحانه مُقلِّبُ القلوب، فلا يَأْمَنُ المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك، والتفكُّر أيضاً في مُقابلة أولئك نِعْمَةً الله بالكفر، وإمهالهم إعمال عُقولهم فيما يوجب الإيمان به، والطاعة له، فمن مرَّ عليهم ولم يتفكَّر فيما يوجبُّ البكاء اعتباراً بأحوالهم؛ فقد شابههم في الإهمال، ودلَّ على فساد قلبه، وعدم خُشوعه، فلا يَأْمَنُ أن يجرَّه ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم»⁽²⁾.

فالحديث الشريف ينهى المؤمن عن الذَّهاب لِدِيَارِ ثمود من أجل التَّفَرُّج على مَساكِنهم، أو الإعجاب بهم، إلَّا من «يذهب للعبرة، ويكون باكياً عند مُروره بتلك الأماكن، فإن لم يكن باكياً فإنَّه لا يجوز أن يدخل عليهم؛ لأنَّه ربَّما يصيبه ما أصابهم، ولَمَّا مرَّ النَّبيُّ - صَلَّى الله عليه وسلَّم - بواديهم فنَّع رأسه، يعني: خَفَضَهُ، وأسرع السَّيرَ حتَّى تجاوز الوادي، وبه نعرف خطأ هؤلاء الذين يذهبون إلى دِيَارِ ثمود للتَّفَرُّج والتَّنَزُّه، ويقفون فيها أيَّاماً، ينظرون آثارهم القديمة، فإنَّ ذلك مَعْصِيَةٌ لِلرَّسُولِ - صَلَّى الله عليه وسلَّم -، ومخالفة لِهُدْيِهِ وَسُنَّتِهِ، فإنَّه صَلَّى الله عليه وسلَّم لَمَّا مرَّ بهذه الدِّيَارِ أسرع وفنَّع رأسه - صَلَّى الله عليه وسلَّم - حتَّى جاوز الوادي، وحذَّر من أن يسكن الإنسان في مساكن الذين ظلموا أنفسهم، والذين أهلكهم الله في هذه الأرض، خوفاً أن يصيب الإنسان ما أصابهم من عذاب الله»⁽³⁾.

والحكمة في ذلك: «أنَّ من دَخَلها مُعجَباً بها، وأخذ يمدحهم، ويشيدُ بقوَّتهم، ويثني عليهم، فإنَّه يُعتبر مُقرِّراً لهم على كُفْرهم وتكذيبهم، وعلى عُتُوِّهم وعنادهم، وعصيانهم لِنَبِيِّهم، وعقرهم للنَّاقة، ومن أُعْجِبَ بهم وأثنى عليهم، خِيفَ عليه أن يمسه ما مسَّهم، أو أن يحشره الله معهم، وهذا الحُكْمُ يعمُّ مساكن غيرهم، ممَّن نزل بعم عذاب من السَّماء بسبب كُفْرهم وعنادهم،

(1) - ابن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرياء الأثرية، المدينة المنورة، ط1، 1417هـ، 1996م)، (3/237).

(2) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (رَقْمُ كُتُبِهِ وَأَبوابُهُ وَأَحاديثُهُ: مُحَمَّدُ فُؤَادُ عبد الباقي، قام بإخراجه وصَحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدِّين الخطيب، عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ)، (1/531).

(3) - مُحَمَّدُ بن صالح الغُثَيَيْن، شرح رِئَاض الصَّالِحِينَ، (دار المستقبل للطباعة والتَّوزيع، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1426هـ، 2005م)، (3/78).

وبقي بعدهم أثرٌ لأفعالهم، كالأبنية الشاهقة، ويعمُّ ذلك إذا سلَّط الله عليهم من أهلكهم وأباد مملكهم، وبقيت بعدهم آثارهم، فقد ذكر ابن كثير قصة سابور ذو الأكتاف⁽¹⁾، وكيف هلك ولم يحصنه ما بناه من الحصون حتى أصبحت بعده مأوى للطيور، ونظم ذلك بعضهم في شعر، يقول فيه⁽²⁾:

وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ * دَجَلَهُ تُجَبَّى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا * فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ

وهكذا أبنية الأهرام بمصر ونحوها، فمن زارها على وجه الاعتبار، والتدبر والنظر في عاقبة تلك القوة التي ما أغنت عن أهلها شيئاً، وأخذ الموعظة أن الموت بالمرصاد، وأنَّ على الإنسان أن تكون رغبته في الآخرة؛ فإنه يستفيد، وأما من يزورها للإعجاب والإكبار، وغبطة أهلها، وتمني مثل حياتهم وقوتهم؛ فإنَّ ذلك مما يخاف عليه أن يُصيبه ما أصابهم⁽³⁾.

المقصد السابع: الدعوة إلى العدل وتحقيقه ونبذ الظلم ومحقه.

إنَّ من أسباب حلول السيول الجارفة، ونزول الفيضانات المدمرة، وكثرة الطوفان والبراكين؛ هو تفشي الظلم وانتشاره، وهيمنة الطغيان بين العباد وشيوعه، فمتى كثر ذلك وعمَّ في بلد من البلدان، عاقبهم الله بما شاء من الآيات المخيفة، مُذكِّراً لهم بقدرته وحسابه، ومُرشدًا أيَّاهم إلى إقامة العدل في الأرض وبين عباده، ومُحذِّراً من الظلم وأسبابه، فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم -: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُقْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾»⁽⁴⁾»⁽⁵⁾.

فالمقصد من هذه الزلازل والآيات، هو الدعوة إلى إقامة العدل بجميع أنواعه، والحرص على بزوجه واتساعه، والدفع عن المظلومين في جميع المجالات، ونصرة المضطَّهدين بمختلف الوسائل والطرق، والسعي إلى وإد الظلم في مهده، وعدم السماح بظهوره، ووجوب ردِّه، فمتى تخلَّى العباد عن العدل وأنواره، وعمدوا إلى الظلم وأوزاره، وأموا وجوههم نحو الطغيان وساهموا في انتشاره؛ فالله عزَّ وجلَّ ينزل عليهم الطوفان، وينذرهم بالحسْفِ والبركان، وغيرها من ألوان العذاب، الدالة على سخط ربِّ الأرباب سبحانه وتعالى.

(1) - ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ، 1997م)، (172/3).

(2) - قائله هو: عدي بن زيد. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، (تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، شركة ومكتبة مصطفى الباوي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1375هـ، 1955م)، (71/1).

(3) - عبد الله الجبرين، أحكام السيَّاحة ونصائح وتوجيهات للسَّائحين والسَّائحات، (أعدها للنشر: سليمان بن صالح الخرشبي، د.ط، د.ت)، (ص/62-63).

(4) - سورة هود، الآية/102.

(5) - البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾، سورة هود، الآية/102، رقم (4686)، (74/6)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (2583)، (1997/4).

وعليه؛ يمكن القول بأن الله ينزل على الأمم الظلمة العذاب الدنيوي، وهو: «العذاب الذي يصيب الأمم التي فسدت أخلاقها، وساءت أعمالها، وكابرت الحق والعدل، وألفت الفساد والظلم، وهو على قسمين: عذاب هو أثر طبيعي اجتماعي، للحال التي يكون عليها المُبْطِلُونَ، بحسب سنة الله في الاجتماع البشري، وهو خذلان أهل الباطل والإفساد، وانكسارهم، وذهاب استقلالهم بنصر أهل الحق، والعدل عليهم، وتمكينهم من رقابهم، وديارهم، وأموالهم، ليحلَّ الإصلاح محلَّ الإفساد، والعدل مكان الظلم، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾⁽¹⁾، وعذاب لا يكون أثراً طبيعياً؛ بل يُسمَّى: سُخْطاً سَمَواً، كالزَّلزال، والحَسَف، والطُوفان، وغير ذلك من الجوائح المُدمِّرة التي نزلت ببعض أقوام الأنبياء الذين كفروا بهم، وكذبوهم، وأدَّوهم⁽²⁾.

المقصد الثامن: تنبيه الخلق على قدرة الله وجلال عظمته.

ما يرسله الله على العباد من مختلف الهزات الأرضية، والكوارث الطبيعية، فيها غاية عظمى، وحكمة كبرى، في التأكيد على قدرة الله سبحانه وقوته، حتى يؤمن الجاحد المشرك، ويوقن المرتاب المشكك، بقدرة خالق الكون وعظمته، وهيمته وجبروته، وليزداد المؤمن إيماناً وتصديقاً، بأن الله قادر على كل شيء، ولا يعجز عن شيء، قال جلَّ وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾⁽³⁾، ومعنى الآية أن: «الله لا يعجزه ولا يفوته أو يسبقه شيء، إذا أراد حدوثه في السموات والأرض، فلن يعجزه هؤلاء المشركون المكذبون لرسوله - صلى الله عليه وسلم -، ولن يُفْلِتُوا من عقابه؛ لأنَّ الله تعالى عليمٌ بجميع الكائنات، لا يخفى عليه شيء، قديرٌ لا يصعبُ عليه أمر، فهو يعلمُ المستحق للعقوبة، قادرٌ على الانتقام منه، في أي وقت أو مكان شاء»⁽⁴⁾.

ومما يعضد هذا المقصد ويزيده بياناً، ما جاء عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -، قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾⁽⁵⁾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ، قَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾⁽⁶⁾، قَالَ: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ، قَالَ: ﴿أَوْ يَلْسَنُكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾⁽¹⁾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: هَذَا أَهْوَنُ، أَوْ هَذَا أَيْسَرُ»⁽²⁾.

(1) - سورة هود، الآية/102.

(2) - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م)، (241/4)، ومصطفى المراغي، تفسير المراغي، (شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وألاده، مصر، ط1، 1365هـ، 1946)، (159-158/4).

(3) - سورة فاطر، الآية/44.

(4) - وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ)، (284-283/22).

(5) - سورة الأنعام، الآية/65.

(6) - سورة الأنعام، الآية/65.

فيمكن إيجاز الكلام بالقول بأنَّ الزَّلزال يأتي - أيضًا -: « تنبيهًا للنَّاس، تنبيهًا للغافلين، وإيقاظًا للنَّائمين، أراد الله أن ينبيههم إلى أشياء، أن ينبيههم على طلاقة القدرة الإلهية، ونفوذ المشيئة الإلهية، أنَّ الله سبحانه وتعالى إذا أراد أمرًا فإنه يقول له: كن فيكون، تتزلزل الأرض، وتهيج الرِّيح، وتفيض المياه، وتغرق الأنهار والبحار، ويتحرك كلُّ شيء أراد الله أن يتحرك، ويسكن كلُّ شيء أراد الله يسكن، لا بدَّ للنَّاس أن يعرفوا مدى طلاقة القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء »⁽³⁾.

وعند التدبُّر في آيات الله الكونية، وما يُجرِّيه سبحانه في هذا الوجود من أشياء بقدرته، نجدها تدلُّ على أنَّه واحد في ذاته، وأحد في أفعاله، لا يُجاري في التدبير، ولا يحتاج إلى مُعين في التَّسيير، له كامل القدرة على القهر والتَّصريف والتَّسخير، ما شاء جعله بإذنه مؤثِّرًا وما شاء سَلَبَ التَّأثير، وهو على كلِّ شيء قدير، فكانت له وحده العبودية، ودانت له الرِّقاب بالالوهية.

وفي هذا يقول ابن القيم: « ثُمَّ قَدَّرَ تَعَالَى أَشْيَاءَ أُخْرَى تَمَانَعُ هَذِهِ الْأَسْبَابُ عِنْدَ التَّصَادُمِ وَتَدَافُعِهَا، وَتَقْهَرُ مُوجِبُهَا وَمَقْتَضَاهَا؛ لِيُظْهَرَ عَلَيْهَا أَثَرُ الْقَهْرِ وَالتَّسْخِيرِ وَالْعِبُودِيَّةِ، وَأَنَّهَا مُصَرَّفَةٌ مُدَبَّرَةٌ بِتَصْرِيفِ قَاهِرٍ قَادِرٍ كَيْفَ يَشَاءُ؛ لِيَدُلَّ عِبَادُهُ عَلَى أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْفَعَّالُ لَمَّا يُرِيدُ خَلْقَهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْمَمْلَكَةِ الْإِلَهِيَّةِ طَوَّعَ قُدْرَتِهِ، وَتَحْتَ مَشِيئَتِهِ.

وأنَّه ليس شيء يستقلَّ وَحْدَهُ بِالْفِعْلِ إِلَّا اللَّهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا بِمُشَارِكٍ وَمُعَاوَنٍ، وَلَهُ مَا يُعَاوِفُهُ وَيُمَايَعُهُ، وَيَسْلِبُهُ تَأْثِيرَهُ، فَتَارَةً يَسْلُبُ سَبْحَانَهُ النَّارَ إِحْرَاقَهَا، وَيَجْعَلُهَا بَرْدًا، كَمَا جَعَلَهَا عَلَى خَلِيلِهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَتَارَةً يَمْسُكُ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْمَاءِ فَلَا يَتَلَاقَى، كَمَا فَعَلَ بِالْبَحْرِ لِمُوسَى وَقَوْمِهِ، وَتَارَةً يَشَقُّ الْأَجْرَامَ السَّمَاوِيَّةَ، كَمَا شَقَّ الْقَمَرَ لِحَاتِمِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَفَتَحَ السَّمَاءَ لِمُصْعَدِهِ وَعُرُوجِهِ، وَتَارَةً يَقْلِبُ الْجَمَادَ حَيَوَانًا، كَمَا قَلَبَ عَصَا مُوسَى ثُغْبَانًا، وَتَارَةً يُغَيِّرُ هَذَا النَّظَامَ، وَيُطْلِعُ الشَّمْسَ مِنْ مَغْرِبِهَا، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ أَصْدَقُ خَلْقِهِ عَنْهُ.

فإذا أتى الوقت المعلوم؛ فَشَقَّ السَّمَاوَاتِ وَفَطَّرَهَا، وَنَثَرَ الْكَوَاكِبَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَنَسَفَ جِبَالَ الْعَالَمِ وَدَكَّهَا مَعَ الْأَرْضِ، وَكَوَّرَ شَمْسَ الْعَالَمِ وَقَمَرَهُ، وَرَأَى ذَلِكَ الْخَلَائِقَ عِيَانًا، ظَهَرَ لِلْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ صِدْقُهُ، وَصِدْقُ رُسُلِهِ وَعَمُومُ قُدْرَتِهِ وَكَمَالُهَا، وَأَنَّ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ مُنْقَادٌ لِمَشِيئَتِهِ طَوَّعَ قُدْرَتِهِ، لَا يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ انْفِعَالُهُ لَمَّا يَشَاؤُهُ وَيُرِيدُهُ مِنْهُ، وَعَلِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ، وَالْمُنْجِمِينَ، وَالْمُشْرِكِينَ، وَالشُّفْهَاءَ الَّذِينَ سَمَّوْا أَنْفُسَهُمُ الْحُكَمَاءَ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ »⁽⁴⁾.

المقصد التاسع: الابتلاء والاختبار للعباد.

من أبرز المقاصد التي تُستخلص من وقوع الزَّلزلات وتلاطمها، وتتابع الفيضانات وتلاحقها، ابتلاء العباد واختبارهم، في جميع أحوالهم وأحلك ظروفهم، لِيَتَمَيَّزَ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلِيَسْتَبِينَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، فَهِيَ فِتْنَةٌ تَفْرُقُ بَيْنَ الْمُحْلِصِ فِي إِيْمَانِهِ وَالْمُتَّبِعِ لَشَيْطَانِهِ، وَقَدْ جَاءَتْ الْكَثِيرُ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي بَيَانِ الْفِتَنِ وَأَنْوَاعِهَا، مُبَيِّنَةً الْمَقْصِدَ الرَّئِيسَ مِنْ ابْتِلَاءِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ بِهَا،

(1) - سورة الأنعام، الآية/65.

(8) - البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ ، سورة الأنعام، الآية/65، رقم (4628)، (56/6).

(3) - يوسف القرضاوي، خطب الشيخ القرضاوي، عنوان الخطبة " زلزال مصر "، (91/1).

(4) - ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت)، (163/2).

قال سبحانه: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۚ ﴾ (١)، ثُمَّ قَالَ بعدها بآيات: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ۚ ﴾ (٢)، وقال جلَّ وعلا: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۚ ﴾ (٣).

فالله عزَّ وجلَّ يأخذ عباده بمزيج من السَّراء والضَّراء، ومزيج من الأفراح والأتراح، لحكمة بالغة، يعود نفعها على العباد في المعاش والمعاد، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۚ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۚ ﴾ (٤).

أما الحكمة في هذا المزيج: «فهي ما ينبغي أن نعلمه جميعاً من أنَّ الحياة الدُّنيا دار تكليف، وأنَّ الآخرة دار جزاء، ومن ثمَّ فإنَّ هذه الحياة التي نعيشها اليوم ممَّرٌ إلى مقرٍّ، وإذن؛ فينبغي أن لا يكون فيها من المبهجات والنَّعم، وأسباب المتعة، ما يصفو عن المكدرات، والمنعصات، وشوائب الآلام، كي لا يتعلَّق المارثون بها، أولئك الذين قضى الله أن يرحلوا عنها، وأن لا يلبثوا فيها إلَّا قليلاً، ... إنَّها لو كانت صافية - مع هذا - من المنعصات، وتكاملت فيها النِّعم والخيرات، إذن لتعلَّق النَّاسُ بها تعلُّقهم بالجنَّة التي وُعدوا بها، ولزهدوا في تلك التي يقطعون إليها المفاوز، مستبدلين بها الجنَّة التي هي تحت أيديهم، يعيشون فيها، ويتقلَّبون في نعيمها» (٥).

وعليه؛ فإنَّ: «هذه الدُّنيا دار تكليف وليست دار تشريف، ثمَّ إنَّها ممَّرٌ إلى مقرٍّ، وليست موطن استقرار وبقاء، إذن فيجب أن يكون في دار التَّكليف ما يناسبها، ممَّا ينسجم مع عبوديَّة الإنسان لله، وأن لا يزيد نعيمها وخيراتها على بُلغة المسافر، وعلى ما تحويه استراحة الطَّريق» (٦).

المقصد العاشر: إرشاد الإنسان إلى الاعتراف بقلة علمه ومعرفة قدر حجمه.

من ناحية أخرى؛ من فوائد الزَّلَازل والهزَّات الأرضيَّة أنَّها تهدي الإنسان إلى الإقرار بقلة علمه؛ مهما حصَّل من العلوم والمعارف، وتقوده إلى معرفة قدر حجمه؛ مهما أُوتي من المراتب والمناصب العُليا، فأين هذا المخلوق الضَّعيف، المغرور بنفسه، الثَّاني لعطفه، المصعِّر لخدِّه، المتمطَّى برأسه، أين هو في هذا الكون الفسيح؟ إنَّه ليس شيئاً مذكوراً.

(1) - سورة العنكبوت، الآية/2-3.

(2) - سورة العنكبوت، الآية/11.

(3) - سورة الأنبياء، الآية/35.

(4) - سورة البقرة، الآية/155.

(5) - محمَّد سعيد رمضان البوطي، من سنن الله في عباده، (دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1435هـ، 2014م)، (ص/18).

(6) - محمَّد سعيد رمضان البوطي، من سنن الله في عباده، (ص/18).

هذا الإنسان الذي تمكّن من صنع الكمبيوتر، وغزو الفضاء، ووَصَلَ بعلمه إلى القمر، ووَقَفَ على سطحه، ويطمح بالصُّعود إلى كواكب أخرى، ولا يزال يريد تطوُّرات تَتَرَى، لكنّه مع هذه الزَّلَازل يقف مكتوف اليدين، لا يمكنه أن يضبط الوقت المناسب، ولا القوّة المحتملة، ولا مكان الانفجار، ولا تقدير الخسائر، والقصد هو: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾. ينبغي على الإنسان أن يعرف قدر حَجْمِهِ، ومَدَى ضعف قوَّته، فالإنسان المغرور، المختال الفخور، مهما استطاع أن يُدَلِّل كثيرًا من الصُّعوبات، ويتحدّى بعض النِّكبات، وكلّ ذلك بالتَّسخير الإلهي له في هذا الكون، إلّا أنّه يظلّ ضعيفًا بالنسبة لقدرة الله وقوَّته، لا يقدر أن يحرك ساكنًا مع ما يجريه سبحانه من سنن كونيّة، وظواهر طبيعيّة؛ بل إنّ كثيرًا ما يقف عاجزًا مشلولًا لا يستطيع أن يصنع شيئًا، فلا مناص من الاعتراف بالضعف، والاقرار بالعجز⁽²⁾. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁽³⁾، وقال أيضًا: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾⁽⁴⁾.

المقصد الحادي عشر: الدّعوة إلى التَّحليّ بالتواضع والتَّخليّ عن الكبر.

الكبر والتَّعالي، والفخر والخيلاء من الصِّفات الذميمة، التي حدّرنا الله سبحانه منها في كتابه، ونهانا عنها في كلّ حال خاصّة بين عباده، ولقد كانت من وصايا لقمان الحكيم لابنه، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾⁽⁵⁾.

وهذه الصِّفة الذميمة هي من بين الأسباب التي تجلب على الخلق الزَّلَزل والاعصار، والخسف والدمار، ولا أدلّ على ذلك؛ ممّا ذكره الله جلّ وعلا في كتابه، وهو يقصّ عاقبة قارون، وما أصابه بسبب تكبُّره في الأرض، وبَغْيِهِ على الخلق بغير حقّ، فكان جزاؤه أن خَسَفَ الله الأرض به، قال سبحانه: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِذَا مَفَاتِحُهُ لِنُؤُودٍ بِالْعِصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ

(1) - سورة الإسراء، الآية/85.

(2) - ينظر: يوسف القرضاوي، خطب الشَّيخ القرضاوي، عنوان الخطبة " زلزال مصر "، (92/1).

(3) - سورة النساء، الآية/28.

(4) - سورة الشُّورى، الآية/31.

(5) - سورة لقمان، الآية/18.

ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ، مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾^(١)

فهذا قارون، الذي قال ما قال على سبيل الفخر والتعالي، والتكبر والتباهي، لم يكتف بما صدر منه؛ بل خرج على قومه في زينة عظيمة، وأبهة فحمة، فانقسم الناس عليه إلى فريقين، فريق: استهوتته المظاهر والجواهر، فأصيب بالعجب والانبهار، وتمنى أن يكون له مثل ما رأى من زينة الدنيا وزخارفها، وجالها ومالها، وفريق ثاني: هم من أهل العلم النافع، والإيمان القوي، فقد قابلوا الفريق الأول بالزجر والتعنيف. إلى أن جاءت عقوبة قارون، بعدما تجاوز الحدود في البغي والفخر، والخيلاء والتعالي، فحسف الله الأرض به وبداره.

فمن المقاصد المستنبطة من هذه القصة القرآنية؛ أن عاقبة الكبر والتعالي وخيمة، وأن العجب بالأموال والأوصاف نذير سوء، لذلك كان من الغايات النبيلة هنا الدعوة إلى هضم الذات والتخلي بالتواضع، والتخلي عن الكبر والترفع^(٢).

المقصد الثاني عشر: تحقيق العبودية الاختيارية لله سبحانه.

من المسلمات أن الإنسان عبد مملوك لله بواقعه الاضطراري، إلا أن المطلوب منه أن يبرز هذا الواقع الاضطراري في كيانه عن طريق سلوكه الاختياري، بمعنى أن سلوك الإنسان ينبغي أن ينسجم مع هويته، حاله في ذلك حال لباسه الذي يتوجب أن يكون متناسقاً معه جسده.

وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك؛ أن الإنسان منفعل بصفات كثيرة يتمتع بها، وليس فاعلاً باختياره لشيء منها، ومثاله: أنه يتمتع بنعمة العقل والفكر، لكونه لا يملك سبيلاً للتصرف بهذه المزية، فلا هو أوجدها في ذاته، وغرسها في كيانه، بإرادة ورغبة منه، ولا هو قادر على استبقائها لديه، وكذلك الحال مع نعمة النطق، فهو يتكلم ويعبر، وييدي آراءً، ويتمتع بهذه المزية، إلا أنه منفعل بها غير فاعل لها بمحض إرادته، وما قيل في العقل والنطق، يقال في نعمة البصر والسمع، وهلم جراً وسحباً. وجميع هذه النعم باختلاف أدوارها وتعدد مهامها ستفارقه يوماً بانفعال قسري، كما تفتح كل ذلك في كيانه بانفعال قسري.

فإذا ثبت أن الإنسان عبد لهذا الذي يملك ذاته وصفاته، توجب عليه معرفة ذلك، فكان لإزاماً عليه أن يخضع سلوكه الاختياري إلى ما يتفق مع واقع عبوديته الاضطرارية، لهذا الذي هو ملك يده، ولا مفر له من سلطانه، ولا يتحقق عبودية الإنسان الاختيارية لله إلا بأمرين: الشكر عند الرخاء، والصبر عند الابتلاء.

لكن ينبغي معرفة أن تحقيق العبودية الاختيارية لله مرهونة بوجود المناخ الذي لا بد منه حتى يكون هذا المقصد العظيم، ونعني به المناخ الذي يتقلب فيه الإنسان في مزيج من أسباب الرخاء، ومظاهر الضراء، وتفسير ذلك؛ أنه إذا لم يتلق في حياته إلا النعم وأسبابها، ولم يواجه المصائب وأهوالها، أو لم يتعرض للتكبات وأحزائها، فلا يمكنه الوصول إلى المقصد الذي تكلمنا عليه^(٣).

(1) - سورة القصص، الآية/76-81.

(2) - ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، (438-439/10)، وهبة الزحيلي، التفسير المنير، (169/20).

(3) - ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، من سنن الله في عبادته، (ص/13-16).

والنتيجة هي أن: «الإنسان إذا تقلّب في حياته في مزيج من السراء والضراء، استيقظت مشاعر عبوديته لله بين جوانحه، فقاده ذلك إلى الخضوع لسلطان الله، والانقياد لشرعه، فيغدو بذلك عبداً لله بسلوكه الاختياري، في علاقته مع ربه، وعلاقته مع سائر الناس، فهل يكون له من سبيل عندئذٍ إلى ظلم الآخرين، أو انتقاصهم، أو سلب شيء من حقوقهم، أو الإساءة إليهم؟ إن سلطان العبودية لله إذا هيمن على مشاعر الإنسان طرد هذه الآفات كلّها من كيانه، ومتّعهُ بالإنسانية المثلى، الصّافية عن سائر الشوائب»⁽¹⁾.

ومن أبرز صور الضراء التي يتعرّض لها الإنسان، ويحتاج فيها إلى إيمان قوي، وصبر جميل، ورباطة جأش، هي الزلازل والبراكين، والخسف والاعصار، تتجلى فيها العبودية الاختيارية لله في أكمل صورها، وأعلى منازلها، وسر ذلك أنّها تتضمن جميع ألوان الابتلاء بين جوانحها، فتشمل: ابتلاء في الأهل، وابتلاء في المال، وابتلاء في النفس، فإذا أحسن المصاب التّكليف معها، وفرّ إلى ربه عند وقوعها، فاحتسب الأجر واستحضر أبرز مقاصدها، يكون قد حقّق العبودية الاختيارية في أسمى صورها، وأكمل معانيها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾⁽²⁾.

المقصد الثالث عشر: تذكر زلزال يوم القيامة.

إنّ ما يعيشه الإنسان أثناء الزلزال - في الحياة الدنيا - من دُهور وحيرة، وما يغشاه من خوف وهلع، وما ينتابه من اضطراب وفرع، يبعثه ذلك إلى تذكر الزلزال الأكبر، والقيامة التي لا مفرّ منها، يوم الوقوف للحساب، قال سبحانه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۚ﴾⁽³⁾.

فترى في زلازل الدنيا اليسيرة، وفيضاناتها القليلة، المرأة تنزل مُسرعةً من بيتها، ناسيةً لأولادها وحتى رضيعها، فإذا تجت بنفسها ورجعت إلى حالتها، وجدّتها تسأل عن أسرتها وما حلّ بها، فكيف الحال بالزلزال الأعظم؟ قال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورُوا رَبَّكُمْ ۖ إِنْ زُلْزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۚ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۚ﴾⁽⁴⁾.

وعند وقوع بعض الهزات الأرضية، منهم من يرمي بنفسه من أعالي العِمَارَات، أو يُلقِي بأولاده من نوافذ المنازل إلى الشوارع والطُرُقَات، وكل واحد منهم يفرّ باحثاً عن مكان يأويه، أو عن مرتفع يعصمه ويحميه، ذاهلاً عن أمّه وأبيه، ناسياً لابنه وأخيه،

(1) - محمد سعيد رمضان البوطي، من سنن الله في عبادته، (ص/19).

(2) - سورة الأنبياء، الآية/35.

(3) - سورة الزلزلة، الآية/01-06.

(4) - سورة الحج، الآية/01-02.

ألا يذكره هذا باليوم الموعود، الذي قال فيه سبحانه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾ (١).

فزلازل الدنيا تذكير باليوم العظيم، وتنبيه للعالمين على أحداث يوم الدين، التي ينبغي الإعداد الجيد لأهوالها، والتزود الكامل لأحداثها، بداية من تذكرها وعدم نسيانها، وأخذ الدروس من زلازل الدنيا ومصائبها، للاستعداد ليوم القيامة وحسابها.

المقصد الرابع عشر: التنبيه على قيمة الدنيا.

ومن مقاصد الزلازل والبراكين، أن ينبّه جلّ وعلا عباده على قيمة الدنيا التي يتمسكون بها، ويحرصون عليها، ويلهثون وراءها في كلّ وقت؛ بل ويتهافون عليها تحافت الذباب على الشراب، ويتقاتلون عليها تقاتل الكلاب على الجيف، فحقيقتها أنّها لا تساوي فلساً واحداً.

يكون العبد في بيته، أو مع أهله وأحبابه، فلا يدري أنّه بعد لحظات ينهدم عليه بيته، ويخرّ عليه سقّفه، وبعد لحظات معدودات، يجد الناس قد ماتوا، والعمران قد خرب، فما أقرب الموت من العبد، لكنّه يتغافل عنه، فكان بحاجة للتذكير ليعرف قيمة الدنيا وزخارفها (٢). قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣).

الخاتمة: وفيها أهمّ النتائج والتوصيات التي خرجت بها ورقات هذا البحث.

أولاً النتائج: نخلص في نهاية البحث إلى النتائج التالية:

- 1 - أنّ الزلازل والبراكين والهزّات الأرضية، ونحوها من الكوارث الطبيعية، وإن كانت في ظاهرها عبارة عن صور هدم وتخريب، وتخويف وترهيب، إلّا أنّها تحمل في طيّاتها الكثير من الدروس والفوائد، والعبر والمقاصد، التي تعود بالخير على العباد في المعاش والمعاد، وعليه يمكن القول أنّ السُنن الكونية منها ما هو مُعلّل ومعقول المعنى.
- 2 - أنّ مقاصد السُنن الكونية من زلازل وهزّات أرضية، وغيرها من الكوارث الطبيعية، هي خير حامل للإنسان على تحقيق العبوديّة الاختيارية المحضة لله سبحانه وتعالى، متى فهم مقاصدها، وفقه أبعادها.
- 3 - أنّ كتب التفسير وشروح الحديث قد حشدت الكثير من مقاصد الشريعة في بطونها، وأشارت إلى أسرار الأحكام في معظم مباحثها، وإن لم تفرد بالتصنيف، أو تعتمد على التصريح بها.

ثانياً: التوصيات. تكمن فيما يلي:

(1) - سورة عبس، الآية/34-37.

(2) - ينظر: يوسف القرضاوي، خطب الشيخ القرضاوي، عنوان الخطبة " زلزال مصر "، (93/1).

(3) - سورة النحل، الآية/77.

1 - ضرورة الاهتمام بالدراسات المقاصدية الخاصة بالسُّنن الكونية، وإشباع البحث فيها، حتَّى يُتَصَدَّى للشُّبه التي تثار حولها، والتَّشكيك الذي يخالَج بعض النَّاس في سِرِّ وجودها.

2 - توسيع البحث في جانب مقاصد السُّنن الكونية وأثرها الإيجابي على عقيدة المؤمن، وترسيخ عبودِيَّته لله سبحانه وتعالى.

مصادر البحث ومراجعته:

- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد البغداديّ الأمويّ القرشيّ (ت: 281هـ)، العقوبات، تحقيق: محمَّد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 1996م.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر ابن أبي شيبة عبد الله بن محمَّد خواسي العَبَسِيّ (ت: 235هـ)، مصَنَّف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرُّشد، ط1، 1409هـ.
- ابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو الشَّيبانيّ (ت: 287هـ)، الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الرِّاية، الرِّياض، ط1، 1411هـ، 1991م.
- ابن بطَّال، أبو الحسين علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، شرح صحيح البخاريّ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرُّشد، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعودية، ط2، 1423هـ، 2003م.
- ابن تيمِيَّة، تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم الحرَّانيّ (ت: 728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرَّحمان بن محمَّد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف، المدينة المنوَّرة، المملكة العربيَّة السُّعودية، د.ط، 1416هـ، 1995م.
- ابن حَجَر العسقلانيّ، أحمد بن علي بن حجر (ت: 852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رَقْم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصَحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدِّين الخطيب، عليه تعليقات الشَّيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- ابن رجب الحنبليّ، زين الدِّين عبد الرَّحمان بن أحمد بن رجب بن الحسن السَّلامي البغداديّ ثمَّ الدَّمشقيّ (ت: 795هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنوَّرة، ط1، 1417هـ، 1996م.
- ابن عبد الحكم، أبو محمَّد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصريّ (ت: 214هـ)، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: أحمد غُبَيْد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط6، 1404هـ، 1984م.
- ابن قِيَّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدَّواء الشَّافي أو الدَّاء والدَّواء، دار المعرفة، المغرب، ط1، 1418هـ، 1997م.
- ابن قِيَّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، مدارج السَّالكيين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين، تحقيق: محمَّد المعتصم بالله البغداديّ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ، 1996م.

- ابن قَيِّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العِلْم والإرادة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيَّ البصريَّ (ت: 774هـ)، البداية والنَّهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ، 1997م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيَّ البصريَّ (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيَّ البصريَّ (ت: 774هـ)، مسند الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العِلْم، تحقيق: إمام بن علي إمام، دار الفلاح، الفيوم، مصر، ط1، 1430هـ، 2009م.
- ابن هشام، أبو محمَّد جمال الدِّين عبد الملك بن هشام بن أيُّوب الحميريَّ المعافريَّ (ت: 213هـ)، السِّيرة النَّبوية، تحقيق: مصطفى السَّقا وآخرون، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1375هـ، 1955م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث ابن إسحاق الأزديَّ السَّجستانيَّ (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق وتعليق: محمَّد محي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت.
- أبو نعيم الأصبهانيَّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانيَّ (ت: 430هـ)، حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، دار السَّعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ، 1974م.
- أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التَّميمي (ت: 307هـ)، مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد الدَّاراني، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404هـ، 1984م.
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل الشَّيباني (ت: 241هـ)، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1421هـ، 2001م.
- الألباني، أبو عبد الرَّحمان محمَّد ناصر الدِّين بن الحاج نوح بن نجاتيَّ الأشقودريَّ (ت: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعودية، ط1، د.ت.
- الألباني، أبو عبد الرَّحمان محمَّد ناصر الدِّين بن الحاج نوح بن نجاتيَّ الأشقودريَّ (ت: 1420هـ)، التَّعليقات الحسان على صحيح ابن حَبَّان وتمييز سقيمته من صحيحه وشاذّه من محفوظه، دار با وزير للنَّشر والتَّوزيع، جدَّة، المملكة العربيَّة السُّعودية، ط1، 1424هـ، 2003م.
- الألويسي، شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسنيَّ (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1415هـ.
- البخاري، محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفيَّ (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر، دار طوق النَّجاة، ط1، 1422هـ.

- بعداش بوبكر، أثر الاختلاف في التعليل في الفقه الإسلامي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1437هـ، 2017م.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، من سنن الله في عباده، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1435هـ، 2014م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي الخراساني (ت: 458هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ، 2003م.
- الجبرين، عبد الله بن عبد الرحمن (ت: 1430هـ)، أحكام السيّاحة ونصائح وتوجيهات للسّائحين والسّائحات، أعدّها للنشر: سليمان بن صالح الخرشبي، د.ط، د.ت.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، المستدرک علی الصحّاحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م.
- الدّارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي السمرقندي (ت: 255هـ)، مسند الدّارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ، 2000م.
- الزّحيلي، وهبة مصطفى (ت: 1436هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت: 911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- الصّالبي، علي محمد محمد، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ، 2008م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللّحمي الشّامي (ت: 360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، د.ت.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللّحمي الشّامي (ت: 360هـ)، مسند الشّاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ، 1984م.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي أبو جعفر (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م.
- الطنطاوي، محمد سيّد (ت: 1431هـ)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط1، د.ت.
- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: 1421هـ)، شرح رياض الصّالحين، دار المستقبل للطباعة والنشر، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1426هـ، 2005م.

- القرضاوي، يوسف بن عبد الله، **خطب الشيخ القرضاوي**، إعداد: خالد السعد، مكتبة وهبة، مصر، ط2، 1417هـ، 1997م.
- القضاوي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن حكيم المصري (ت: 454هـ)، **مسند الشهاب**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ، 1986م.
- محمد رشيد رضا، محمد رشيد بن علي القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م.
- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1365هـ، 1946م.
- مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت: 807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ط، 1414هـ، 1994م.